فوائد البلاء العام في ضوء هدايات القرآنِ (جائحة كورونا نموذجًا)

إعداد

أ. د. طه عابدين طه حمد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

بجامعة أم القرىٰ بمكة المكرمة

مقدمة:

الحمد لله الذي يبتلي عباده بما يشاء لحكم كثيرة لا يحصيها غيره، وهو الحكيم الخبير، والصلاة والسلام علىٰ سيد الأنبياء وإمام المرسلين، وعلىٰ آله الطاهرين، وصحبه الصادقين، ومن سار علىٰ هديهم إلىٰ يوم الدين، أما بعد:

فإنَّ البلاء العام من سنن الله تعالىٰ المتكررة في الأمم والشعوب عبر تاريخ الإنسانية، والقرآن الكريم تحدث كثيرًا عن ما حلَّ بالناس من بلاء ووباء عام بأنواعه المختلفة، وكشف عن آثاره الظاهرة وفوائده المتحققة، ومما لا شك فيه أنَّ الوباء العام الذي ينزله الله تعالىٰ علىٰ الناس كـــ"جائحة كورونا" مع ما فيه من أنواع العذاب، وما يقع بسببه من أضرار وآثار سالبة علىٰ بعض الناس يفقدون بسببها أنفسًا غالية وأموالًا كثيرة، وتعطل لهم مصالح متنوعة، فإنَّ المتأمل فيه بدقة يجده يحمل فوائد كثيرة قلَّ من يتنبه لها؛ وذلك لأن الناس دائمًا في البلاء يركزون علىٰ النقم والجوانب السالبة، ويهملون ويغفلون عن ما فيه من الفوائد والنعم، والقرآن ينبه دائما لما وراء الابتلاءات العامة من مقاصد وفوائد وحكم إلهية كثيرة، سواء علىٰ من حلَّت بهم أو من جاء بعدهم، فقد ترىٰ في الأمور ما تكره، وهي تحمل في باطنها لك ما تحبه وهذا كثير،

قال تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١]؛ خاصة البلاء مع المؤمن، وقد جاء في صحيح مسلم عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(١).

ومن هنا نبعت فكرة هذا البحث، فكان هدفه العام الكشف عن بعض فوائد "جائحة كورونا" في ضوء مقاصد وفوائد البلاء في هدي القرآن الكريم.

وللوصول إلىٰ الهدف العام للبحث، فقد قسمتُه إلىٰ: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، المبحث الأول: جاء في بيان مفهوم البلاء العام وأقسام الناس فيه، والمبحث الثاني: جاء في بيان الفوائد المتحققة من

(١) كتاب: الزهد والرقائق، باب: الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ ح رقم ٧٦٩٢.

"جائحة كورونا" في ضوء مقاصد البلاء العام في هدي القرآن الكريم، ثم خُتم البحث بخاتمة اشتملت علىٰ أهم النتائج والتوصيات.

نسأل الله تعالىٰ العون والتوفيق، والنفع والقبول لهذا الجهد المتواضع.

المبحث الأول: مفهوم البلاء العام وأقسام الناس فيه:

المطلب الأول: مفهوم البلاء العام:

أولاً: البلاء والابتلاء في اللغة: من بَلاه يَبْلُوه بَلْواً إِذَا جَرَّبَه واخْتبَره، وبَلاه اللهُ بَلاء وابْتَلاه أَي اختبَره وامْتَحَنَه، وبَلَوْتُ الرجلَ بَلْوًا وبَلاء وابْتَلَيْته: اخْتبَرْته وجَرَّبْتُه.

وقَالَ ابْنُ الأَعرابي: أَبْلَىٰ بِمَعْنَىٰ أَخْبَر من ابْتَلَيْتُ الرَّجُلَ فأَبْلانِي: أَي: اسْتَخْبَرْتُه فأَخْبَرَني.

والِابْتِلَاء: فِي الأَصْل يكون بالتَّكْلِيف بِالْأَمر الشاق من الْبلَاء كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، ويَكُونُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَعًا مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ بَيْنَ فِعْلَيْهِمَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فاللهُ تَعَالَىٰ يُبْلي العبدَ بَلاءً حَسَنًا ويُبْلِيه بَلَاءً سيِّئًا[(١)]، فهو يكون بالسراء والضراء؛ لأنَّ مقصد الابتلاء إنَّما هو امتحان العبد، "اسْتِخْرَاج مَا عِنْد الْمُبْتَلىٰ من الطَّاعَة وَالْمَعْصِيَة"[(٢)]، فالبلاء بالخير لشكره، والبلاء بالشر

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٢٩٤)، وتاج العروس (٦/ ٣٢٨)، والمحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ٤٣١)، ولسان العرب (١/ ٣٥٥).

(٢) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢١٦).

لصبره، وثمرة الابتلاء فيما يترتب عليه من رجوع إلىٰ الطاعة أو استمرار علىٰ المعصية، وكل ما يجري في الكون هو بحكمة الله تعالىٰ، والبشر ليس بإمكانهم معرفة ما وراء هذه الأقدار والابتلاءات من حكم إلا بقدر ما ييسره الله تعالىٰ لهم، فقد يكون الكافر والعاصي في نعم كثيرة لا يصيبه مرض ولا فقر فيكون هذا الذي نراه نعمة له هو نقمة عليه في الآخرة كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٦]، ولا تتضح حكمة الأمور في الدنيا ويظنون أنهم السعداء بما أوتوا كما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا﴾ [مريم: ٧٥]، وقد يبتلىٰ المؤمن في هذه الدنيا بما لا يبتلىٰ به غيره، ليكفر عنه بعض ذنوبه أو ليرفع درجاته بصبره وتحمله، فقد ابتلىٰ الله تعالىٰ أحب أهل زمانه إليه كما حدث لأيوب عليه السلام كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: ٤٤]، فحِكَم البلاء لا يظهر كنهها ولا تُعرَف أسرارها، ولا يستطيع أحد أن يطلع علىٰ ما خفي من أسرارها، ومن هنا كان البلاء علىٰ أوليائه أكثر، وقد جاء عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ مِنْ النَّاسِ، يُبْتَلَىٰ

الرَّجُلُ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّىٰ يَمْشِيَ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»(١).

والابتلاء يكون خاصًّا، وعامًّا، والخاص هو الذي يقع علىٰ الأفراد من الأنبياء والصالحين والطالحين وغيرهم، كابتلاء أيوب عليه السلام بالمرض، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢١]، وكابتلاء ذي النون عليه السلام بابتلاع الحوت له كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٢]، وكابتلاء خليله إبراهيم عليه السلام برميه في النار، وابتلائه بالكلمات التي أتمهن، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وكل مخلوق يصيبه البلاء كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ح رقم ١٤٨١، والترمذي في سننه ح رقم ٢٣٩٨، والنسائي في سننه ح رقم ٧٤٨١، وابن ماجة ح رقم ٤٠١٣، والبيهقي في السنن الكبرىٰ، ح رقم ٦٧٧٢، والحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الترمذي.

وقد يكون البلاء عامًّا كالذي يحل علىٰ المجتمع من مصائب وكوارث عامَّة من زلازل وبراكين وفيضانات وأمراض ووباء عام وغير ذلك، وغالبه يكون بسبب ذنوب العباد، كما قال تعالىٰ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

المطلب الثاني: أقسام الناس في البلاء العام:

الله ﷻ لطيف بعباده وهو الحكيم الخبير، يبتلي عباده ليميز بينهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، فالله تعالىٰ يبتلي عباده لمقاصد عظيمة وفوائد كثيرة ومتنوعة، وتختلف فوائده وآثاره من أمَّة لأخرىٰ حسب نوع البلاء ومن حلَّت عليهم، وكيف حالهم قبله، وكيف أصبح حالهم بعده، ومن خلال الاستقراء العام لآيات الابتلاء العام نجد أنَّ الناس ينقسمون إلىٰ قسمين:

القسم الأول: من لم ينتفعوا بما حلَّ بهم من بلاء:

فهنالك من الناس من لم ينتفعوا بما حلَّ بهم من بلاء، ووقع عليهم من دمار، كما قال تعالىٰ عن قوم فرعون: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٣- ١٣٧]، فهؤلاء لم تغن عنهم الآيات والنذر كما قال تعالىٰ: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس:١٠١- ١٠٢]، فمع نزول البلاء عليهم إلا أنهم عاكفون علىٰ المعاصي والموبقات، غافلون ساهون لم يتسفيدوا مما حل بهم من عذاب ونذر.

القسم الثاني: من يردَّهم البلاء العام إلىٰ ربهم:

من ينفعهم البلاء ويجعلهم يفرون إلىٰ الله تعالىٰ وينيبون إليه، ولم يزين لهم الشيطان سوء أعمالهم كما قال تعالىٰ عن قوم يونس عليه السلام: ﴿فَلَوْلَا

كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]، لأنَّهم فهموا مقصد البلاء العام، فالله تعالىٰ يبتلي خلقه ببلاء عام رحمة بهم ليردهم إليه رداً جميلا، فالقحط ونقص الثمرات، ونزول الأمراض والوبائيات، وأيام الشدة والبؤس ينزلها الله تعالىٰ علىٰ خلقه؛ ليؤدب الشارد، وينبه الغافل، ويوقظ الساهي، وتحيي القلوب الميتة، وعدم الاعتبار والاتعاظ دليل علىٰ قسوة القلوب، والبعد عن الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: "إنَّما جُعلت العلل ليؤدَّب بها العباد؛ ليس كل من مرض مات"[(١)]، فالمصائب والبلايا تعالج النفوس المغرورة والمخدوعة بزخارف الحياة الدنيا، وللمربي الحكيم أن يتخذ الوسائل المناسبة من أجل صلاح المربَّىٰ والتأديب بالعقوبة يلجأ إليه المربي إذا لزم الأمر؛ ولله المثل الأعلىٰ وهو اللطيف الخبير.

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٣/ ٤٠١).

المبحث الثاني: فوائد جائحة كورونا:

هنالك فوائد كثيرة ظهرت للعالم بأسره -خاصة المؤمنين- من جائحة كورونا، أحببت من خلال هذا المبحث الحديث عن بعض تلك الفوائد، من ذلك:

أولاً: تحقق التوحيد الخالص لله تعالىٰ:

من القضايا الإيمانية الكبرىٰ التي هدىٰ إليها القرآن الكريم العلم بربوبية الله تعالىٰ المستوجبة لألوهيته، بأنَّ الله تعالىٰ وحده هو الخالق لهذا الكون، الحافظ له، المدبِّر لشؤون خلقه، المستحق للعبادة دون سواه، وأنَّ الخلق لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له، وأنَّهم ما يملكون من قطمير، ولا مثقال ذرة في السموات والأرض؛ بل لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٥-٦٦]، فهو وحده المستحق للعبادة وأنَّ العبودية لا تجوز لغيره من مخلوق عاجز من كل الوجوه، كما وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان:

٢-٣]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾ [سبأ: ٢٢].

فهذه الحقيقة الكبرىٰ التي فطر الله ﷻ الخلق عليها، وبيَّنها الله تعالىٰ في كتابه بيانًا شافيًا، فهمها بعض الخلق وغابت عن كثيرين منهم، فتأتي بعض آيات الله تعالىٰ الكونية والحوادث الكبرىٰ التي تنقطع فيها الأسباب ولا يكون أمام الخلق إلا مسبب الأسباب لتذكر بها، فتتجلىٰ فيها معاني الكبرياء والوحدانية والقهر والقوة والعزة لله تعالىٰ الذي لا يعجزه شيء في السماوات والأرض، وأنّ الخلق فقراء إليه، لا حول ولا قوة لهم إلا به، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الأسراء: ٦٧]، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾ [لقمان: ٣٢].

وقد كانت الدول خاصة الكبرىٰ تعيش نوعًا من الغرور والكبرياء وهم يرون امتلاكهم للأساطيل البحرية، والجويَّة، والبريَّة، وأسلحة الدمار الشامل، والجيوش الجرَّارة، يدعم ذلك تطور كبير في التقنية والعلوم الإدارية والعسكرية والسياسية والاقتصادية، وتطور كبير في مجال الصناعة والزراعة والاتصالات وغيرها، فلما جاء هذا الفيروس الضعيف الذي لا يرىٰ بالعين المجردة، وقهر العالم بجيوشه وإمكاناته البشرية والمادية فقتل الآلاف، وأرعب الملايين، وأوقف حركة العالم، وشلَّ اقتصاده، وأعجز علماءه، عرفوا جميعًا ضعفهم وعجزهم، وأنَّ العظمة لله ﷻ، وهو وحده القادر علىٰ رفع هذا البلاء، سقط كل من ادعىٰ العظمة من الخلق أفرادًا أو جماعات أمام هذا المخلوق الضعيف، الذي تحداهم فأعجزهم، وأخزاهم فأركسهم، وبين ضعفهم ولم يستطع أن يمنعه عن ذي سلطانٍ بابٌ ولا حُجَّابٌ، وقد جمع الله العالم كله علىٰ أمره قدَرًا؛ بعد إذ لم يجتمعوا علىٰ مراده منهم شرعًا، فأرغم الجميع بالخضوع وتفرد الرب جل جلاله بالوحدانية والقهر الذي لا يستحقهما إلا الله وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[آل عمران:٨٣].

وقد رأينا زعماء الدول الكبرىٰ" أمريكا – بريطانيا- إيطاليا – فرنسا- ألمانيا – الصين – وروسيا" كيف نطقوا بعجزهم وإفلاسهم! بل أعلنوا عجز الحلول الأرضية وهم ينتظرون حلَّ السماء، فأعلنوا حاجتهم للرب حيال هذا الوباء الذي حلَّ في جميع الأنحاء، وحثُّوا أتباعهم علىٰ الصلاة والدعاء.

وفي الوقت كذلك الذي عُظمت فيه الأصنام والأضرحة وأصبحت بعض المزارات والمعابد تضاهي الكعبة المشرَّفة جاءت هذه الجائحة لتبين للناس ضعف وعجز هذه الآلهة -التي يعبدونها من دون الله، ويريدون من ورائها جلب نفع ودفع ضر- من حماية نفسها، فظهر للجميع أنَّ تعلق القلوب بغير الله ﷻ سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، وأنَّ القوة لله جميعًا، وأنَّ قوة الخلق لا تغني عنهم من الله شيئًا، وأنَّ البلاء إذا نزل لا كاشف له سواه، وأنَّه لا ملجأ لهم من الله إلا إليه، وأنَّ من يدَّعون أنَّهم يكشفون الضر ويدفعون البلاء عن الناس، وأنَّهم يديرون ويدبرون أمر الكون مع الله تعالىٰ ما هم إلا كذبة مفترون علىٰ الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٧، ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ هَلۡ هُنَّ

كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٣]، فكيف تنتظر نفعًا لك أو لغيرك ممن لا يملك ذلك لنفسه، قال تعالىٰ: ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴾[الرعد:١٦].

ثانيا: معالجة الطغيان المادي للعالم:

الإنسان مخلوق ضعيف مبدؤه ضعف ومنتهاه ضعف كما قال تعالىٰ: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾[النساء: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴾[الروم:٥٤]، وهو مع ضعفه وفقره لربه يدخله الطغيان والغرور وروح الاستغناء إذا ملكه الله تعالىٰ بعض وسائل القوة من مال أو سلطان أو علم أو غيرها، وقال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾[العلق: ٦، ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴾[الشورى: ٢٧]، وقال تعالىٰ عن قوم ثمود: ﴿فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ

مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٥، ١٦]، وقال تعالىٰ عن فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

فقد امتلك العالم اليوم من وسائل القوة والماديات ما لم يحصل له من ذي قبل، ففي ظل هذا التطور المادي الكبير، والتقنية العلمية الهائلة التي يعيشها العالم اليوم دخل في قلوب الكثيرين من الخلق الغرور، وافتتن بذلك أمة من الناس؛ بل جعلها بعضهم إلهًا يعبد من دون الله، وظنوا أنَّها مانعتهم وحافظتهم من دون الله، فجاءت هذه الجائحة فردَّت تلك العقول والنفوس الزائفة إلىٰ فطرتها، وعلموا أنَّه مهما تفوَّق العلم لن يستطيع أن يرد قدر الله، أو يمنع عذابه إذا حل بأمة أو قوم، فعالجت هذه الجائحة آثار هذا الطغيان المادي إلىٰ حد كبير خاصة في القلوب المؤمنة، وذكرت بما نبه عليه القرآن الكريم في هذا الباب كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾

وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الحجر: ٨٠-٨٤]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [غافر: ٨٢، ٨٣].

فالله تعالىٰ أمر بعمارة الأرض والأخذ بالأسباب المادية وغيرها، دون الاغترار بالعلم أو الماديات، والاعتماد عليها دون مسبب الأسباب.

ثالثًا: أنَّ لله جنود السماوات والأرض:

من الحقائق الإيمانية المهمة التي تستفاد وتذكر بها هذه الجائحة أنَّ لله جنود السموات والأرض الذين لا يحصي عددهم ونوعهم غيره جل وعلا، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧]، قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: "﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أَنْصَارًا عَلَىٰ أَعْدَائِهِ، إِنْ أَمَرَهُمْ بِإِهْلَاكِهِمْ أَهْلَكُوهُمْ، وَسَارَعُوا إِلَىٰ ذَلِكَ بِالطَّاعَةِ مِنْهُمْ لَهُ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ ذَا عِزَّةٍ، لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مِمَّا

أَرَادَهُ بِهِ مُمْتَنِعٌ، لِعِظَمِ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ، حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ"[1]، وقال السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: " أي: جموع السموات والأرض، فلو سلط أصغر خلقه علىٰ جميع العالم لقهرهم"[2].

ففي الوقت الذي ظنَّت الدول الكبرىٰ بما لها من إمكانات وتجهيزات علمية وعسكرية واقتصادية وغيرها أنَّها جاهزة لمواجهة أي عدو يهدد وجودها مهما كان عدده وقوته وشكله وحجمه؛ جاءت هذه الجائحة لتبين للعالم أن لله جنود السموات والأرض، وأنَّ الله تعالىٰ وحده هو القادر علىٰ إهلاك البشرية كلها بما لا قبل لهم به من جنوده، وأنَّ كل هذه الحصون التي صنعوها والأسلحة التي أعدوها لن تغني عنهم من عذاب الله شيئًا، وأنَّه لا يستطيع أحد دفع العذاب الذي ينزله الله تعالىٰ، وعذابه وبلاؤه متنوع بما لا يستطيع أحد معرفة نوعه ووقته، يصيب جميع الخلق الطالب والمطلوب، الرئيس والمرؤوس، والمحتاط والغافل، ولا أحد بمنأىٰ عن عذاب الله وغضبه وانتقامه إلا من نجَّاه الله ووقاه ورحمه كما قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مخاطبًا ابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا

---

(١) جامع البيان (٢١/ ٢٤٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٩٢).

وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴾ [هود: ٤٢-٤٣]، فلا عاصم من أمره مهما كان صغره أو ضعفه، ومهما كانت قوة من سلط عليهم عدداً وعدة.

رابعًا: تذكر عِظم نعم الله تعالىٰ وسعة رحمته بعباده:

العالم كله ينعم بنعم ربانية كثيرة وكبيرة لا تحصىٰ، ورحمة الله تعالىٰ علىٰ عباده واسعة، وفضله عليهم كبير مع كفرهم وإعراضهم، فهو الذي خلقهم ورزقهم وهم أجنَّة في بطون أمهاتهم، وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة، وعلَّمهم ما لم يكونوا يعلمون، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]، وهو الذي يحفظهم بالليل والنهار لا حافظ لهم سواه، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٢-٤٣]، وهو الذي خلق هذه الأرض ومهدها لعباده، وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات الطيبات رزقًا لعباده وأنعامهم، وهو الذي حملهم في البر والبحر، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ

كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١١ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ١٢ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ١٤ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ﴾ [الزخرف: ١٠ -١٥].

فمن فوائد البلاء العام أنَّه يذكر بمثل هذه النعم الكبيرة الكثيرة التي وهبها الله تعالىٰ لعباده ليعبدوه وهم عنها غافلون، وهو قادر علىٰ نزعها وتغيير أحوال هذا الكون في لحظة وطرفة عين إن لم يرعوها بالشكر عبودية للمنعم، وكثير من الناس لا يعرفون قدر النعم إلا بعد فقدها، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الملك: ١٥- ١٨].

فكنَّا غافلين عن نعمة الحركة بكل سهولة من مكان لآخر، ونعمة الاجتماع مع الأهل والأصحاب والتزاور، ونعمة الذهاب للمساجد والصلاة فيها، ونعمة تراصِّ الصفوف في الصلاة دون حرج، ونعمة العافية في أبداننا وغيرها، فجاءت هذه الجائحة لتذكر العباد بواسع رحمة الله تعالىٰ بعباده وأنَّه ﷻ أرحم من الأم بولدها، فهو يمهل ولا يهمل مع كمال قدرته، وإهلاك الخلق أهون ما يكون عليه لو شاء، وهو قادر علىٰ

إهلاك الخلق بأدنىٰ سبب من الريح والصواعق، والأمطار المهلكة، أو يسلط عليهم بعض خلقه من طير أبابيل أو يرسل عليهم الجراد أو القمل أو الضفادع أو غيرها، فهي متنوعة، وليس في مقدور الخلق في أي وقت مواجهتها، والله تعالىٰ من كمال رحمته مع كمال اقتداره لا يعاجل عباده بالعقوبة كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ [فاطر: ٤٥]، فلنتخذ من نعم الله علينا طريقا لمرضاته ونصرة لشريعته وتمكينا لدينه، ولنعلم أنه كلما اتسعت دائرة نعم الله علينا، كلما تضاعفت المسؤولية، ولنعلم أن المصيبة التي ترد صاحبها إلىٰ الله تعالىٰ خير من نعمة تطغي صاحبها، فلا يقدرها حق قدرها.

خامسًا: أمن العالم وقيامه بالله تعالىٰ وحده:

الأمن نعمة عظمة تبحث عنه الإنسانية بكل طوائفها، وأصبح العالم اليوم يتحدث عن مفهوم الأمن الشامل الذي شمل البيئة، والجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، والقرآن بين لنا أنه لا أمن إلا بالله، قال تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾

[الملك: ١٦-١٧]، فالأمن من المخاوف والعذاب والشقاء؛ لا يكون إلا بالله المتمثل مكمنه في الإيمان به وطاعته وترك الإشراك بالله ومعصيته ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:"الأمن من المخاوف والعذاب والشقاء بالهداية إلىٰ الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقًا، لا بشرك ولا بمعاصي، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده؛ ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها. ومفهوم الآية الكريمة، أنَّ الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية ولا أمن؛ بل حظهم الضلال والشقاء"[1].

فالنمو الاقتصادي والأمن في الحياة، والزيادة في المال والولد والصحة والعلم والعقل والجاه والرزق لا يكون إلا بالله تعالىٰ، وبشكره تحفظ النعم، فلا نمو اقتصادي ولا أمن ولا استقرار في ظل حرب مع الله جل جلاله، كما قال تعالىٰ عند التعامل مع الربا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٍ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢/ ١٩١).

مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٨، ١٧٩]، فلا يجوز أن يغفل العباد عن نِعم الإله ﷻ، كما لا يليق بهم أن لا يعرفوا نعم الله إلا عند فقدها، كنعمة الحفظ والعافية والصحة، كما لا يجوز صرف النعم في غير ما جعله المنعم جل وعلا.

فجاءت هذه الجائحة العامة تحمل رسالة قوية إلىٰ أهل الأرض أنه لا أمن إلا بالله، فهو الذي يؤمنهم مما يخافون كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤].

سادسًا: تحقيق منازل عظيمة من منازل العبودية:

الله ﷻ خلقنا لعبوديته، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]، ومنازل العبودية كثيرة ومتنوعة، وهنالك منازل يصل إليها العبد علىٰ سلم الابتلاء أحيانًا، فمن فوائد البلاء بـــ "جائحة كورنا" تحقيق أنواع عظيمة من منازل العبودية من ذلك:

منزلة التسليم: التسليم بقضاء الله تعالىٰ وقدره، وأن ما قدره كائن، وكل شيء يقع في الكون يقع بتقديره سبحانه وتعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وأن ما قدره هو كائن بعلمه وحكمته، ولا مرد لقضائه،

ولا معقب لحكمه، قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [التغابن: ١١]، فمن أيقن بذلك ورضي بما قدره الله، وفوض أمره إليه، مع حسن الظن به، والثقة في كفايته نال بذلك الأجر العظيم والثواب الكبير، وهو الثمرة الحقيقية التي يخرج بها المؤمن من وراء ما يمر به من مصائب وابتلاءات؛ إلا أنها منزلة لا يبلغها أكثر الناس ولو حرصوا؛ فعند المحن تنفسخ العزائم. ومما يتحتم العلم به والتدقيق في فهمه أن الرضا بالقدر واجب إجماعا، وأن الرضا بالمقضي ليس واجبا إجماعا؛ بل قد يكون حراما أو كفرا وتلزم كراهته والسعي في رفعه ودفعه. كما قال ابن القيم رحمه الله في نونيته[1]:

فلذاك نرضىٰ بالقضاء ونسخط الـ ... ـمقضيّ حين يكون بالعصيان

فالله يرضىٰ بالقضاء ويسخط الـ ... ـمقضي ما الأمران متحدان

فقضاؤه صفة به قامت وما ... المقضي إلا صنعة الرحمن

---

(١) الكافية الشافية (ص: ٢٠٦).

والكون محبوب ومبغوض له ... وكلاهما بمشيئة الرحمن

هذا البيان يزيل لبسا طالما ... هلكت عليه الناس كل زمان

منزلة الصبر: منزلة الصبر من منازل العبودية العظيمة، ولما للصبر من منزلة عظيمة حث الله تعالىٰ عليه، ومدح أهله، ووعدهم بالأجر العظيم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، ومن أنواع الصبر، الصبر علىٰ البلاء، كما قال تعالىٰ في صفات المتقين: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقد خص الله تعالىٰ الصبر علىٰ البلاء بأجر خاص من الصلاة عليهم، ونيل رحمته، والشهادة لهم بالهداية، قال تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].

وليُعلم أن الأقدار تأتي علىٰ خلاف مراد النفس، فالعاقل من حمل نفسه علىٰ الصبر واثقا بموعود الله من الأجر وتسهيل الأمر؛ ليذهب زمان البلاء سالما من شكوىٰ الرحيم للذي لا يرحم.

منزلة التذكُّر: من منازل العبودية العظيمة التذكُّر والانتباه من الغفلة، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ

نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٨، ٩]، والتذكر يثمر معارف عظيمة وفوائد عملية كبيرة في حياة الفرد والجماعة، وهو أعظم علاج لداء الغفلة والنسيان، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

منزلة التضرع إلىٰ الله: من منازل العبودية العظيمة في وقت البلاء التضرع إلىٰ الله تعالىٰ، واللجوء إليه، وقد ذمَّ الله تعالىٰ أممًا أعرضت عن ذلك في وقت البلاء، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢، ٤٣]، ومدح الله تعالىٰ من تضرع إليه في وقت البلاء وأظهر فقره وتذلل إليه، وأقبل عليه بالالتجاء، ودوام التضرُّع وأن يتوخَّىٰ الدعاء في مظان الإجابة؛ مثل آخر الليل، وبين الأذان والإقامة، وفي سجوده، وفي أدبار الصلوات.

وقد قال الله تعالىٰ عن عبده أيوب عليه السلام بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾

[الأنبياء: ٨٤، ٨٣]، وقال تعالىٰ عن ذي النون عليه السلام: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧].

منزلة التوبة: من منازل العبودية العظيمة منزلة التوبة والإنابة إلىٰ الله تعالىٰ، والإقلاع عن الذنوب والمعاصي، والسعيد من نبهته المصائب وردته إلىٰ الله تعالىٰ، فمن علامات الخسران الاستمرار علىٰ المعصية مع الآيات والنذر التي تحل بالإنسان في حياته، قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦]، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣]، وقد يرسل الله تعالىٰ بعض النذر لينتبه العباد وينيبوا إليه، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

فمن أعظم فوائد هذه الجائحة ما شاهدناه عند كثير من الناس من التسليم لقضاء الله وقدره، ومقابلة ذلك برضا وعدم تسخط لما فقدوه من أنفس وأموال ووظائف وغيرها، وقد تحلىٰ الكثير من الناس بالصبر والرضىٰ علىٰ ترك العمل والحبس في البيوت والصبر علىٰ ما أصابهم من آلام وأوجاع، وكيف كان التضرع إلىٰ الله تعالىٰ لكشف هذه البلوىٰ،

وكيف قطع الرجاء والتعلق بالمخلوقين، واليقين بأنَّها ﴿لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [الواقعة:٥٨]، وكيف أناب الكثير من الناس ورجعوا إلىٰ ربهم وأدركوا حجم التفريط الذي هم فيه، وهذه كلها منازل تزيد من منزلة العبد وقربه إلىٰ الله تعالىٰ، فالبلاء العام يكون عقوبة لبعض الخلق، أو تكفيرًا لسيئات بعضهم، أو رفعًا لدرجات المصطفين الأخيار منهم، وصورته واحدة، لكن الفرق في تعامل المبتلىٰ مع هذا البلاء، ومدىٰ فقهه للحكمة منه، فمنهم من يردّه البلاء إلىٰ الله، ومنهم من يزيده قسوة في قلبه، وقد رأينا كيف اختلف أثر هذه الجائحة علىٰ الناس. قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: في فوائد البلاء الذي يحل بالمؤمن: "فالبلايا والأمراض وسائر الهموم والغموم التي تنزل بالعبد المؤمن لها فائدتان:

الأولىٰ: إن كان العبد صاحب ذنب؛ فالله تعالىٰ يرسل إليه البلاء ليغفر له ذنبه، وأنتم تعلمون أنَّ كل هم أو غم أو نصب أو وصب ينزل بالمرء إلا كفَّر الله تعالىٰ به من خطاياه.

الثانية: فإن لم يكن له خطيئة، وقلَّ أن يكون عبد كذلك، وربما ينزل البلاء وحجمه أعظم من حجم الذنب، فيغفر الذنب، ويرفع الدرجات"[1].

قد ذكر ابن رجب الحنبلي رحمه الله عدداً من فوائد البلاء فقال: "من لطائف البلايا وفوائدها وحكمها. فمنها: تكفير الخطايا بها، والثواب علىٰ الصبر عليها، وهل يثاب علىٰ البلايا بنفسه؟ فيه اختلاف بين العلماء. ومنها: تذكِّر العبد بذنوبه فربما تاب ورجع منها إلىٰ الله ﷻ. ومنها: زوال قسوة القلوب وحدوث رقتها... ومنها: انكسار العبد لله ﷻ وذله له، وذلك أحب إلىٰ الله من كثير من طاعات الطائعين. ومنها: أنَّها توجب للعبد الرجوع بقلبه إلىٰ الله، والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة، وذلك من أعظم فوائد البلاء، وقد ذم الله من لا يستكين له عند الشدائد، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام:٤٢]...ومنها: أنَّ البلاء يوصل إلىٰ قلبه لذة الصبر عليه والرضا به، وذلك مقام عظيم جداً، وقد تقدمت

---

(١)شرح صحيح مسلم (٤/ ٤٥٨).

الإشارة إلىٰ فضل ذلك وشرفه. ومنها: أنَّ البلاء يقطع قلب المؤمن عن الالتفات إلىٰ مخلوق ويوجب له الإقبال علىٰ الخالق وحده. وقد حكىٰ الله عن المشركين إخلاص الدعاء له عند الشدائد فكيف بالمؤمن؟!. فالبلاء يوجب للعبد تحقيق التوحيد بقلبه وذلك أعلىٰ المقامات وأشرف الدرجات"[1].

سابعًا: العلم ببعض السنن الربانية:

لله تعالىٰ سنن ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، قال تعالىٰ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ [محمد: ١٠]، فالأمم عند ما تعصي ربها تمضي فيها سننه، وقد تحدَّث الله تعالىٰ عنها في كتابه، وأمر بالسير في الأرض للوقوف علىٰ آثارهم كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ

---

(١)نور الاقتباس في وصية النبي لابن عباس لابن رجب (ص:١٤٧).

وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٢ - ٨٥]. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: " يخبر تعالىٰ عن الأمم المكذبة بالرسل في قديم الدهر وماذا حلَّ بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم وما أثروه في الأرض وجمعوه من الأموال فما أغنىٰ عنهم ذلك شيئًا ولا ردَّ عنهم ذرة من بأس الله؛ وذلك لأنَّهم لما جاءتهم الرسل بالبينات والحجج القاطعات والبراهين الدامغات لم يلتفتوا إليهم ولا أقبلوا عليهم واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عمَّا جاءتهم به الرسل"[1].

فمن فوائد هذه الجائحة العظيمة تقديم درس عملي لأهل الأرض وهم يجاهرون اليوم بالمعاصي لله تعالىٰ من انتشار الشرك، وانتشار المنكرات بكل صورها من الزنا واللواط والخمر والميسر والربا ومبارزة الله تعالىٰ بالمنكرات حتىٰ يدركوا بأنَّ سننه فيما حلَّ علىٰ الأمم السابقة من العذاب حينما عصت أمر ربها وكذبوا رسل ربهم واغتروا بما عندهم من علم وقوة ليس منهم ببعيد، لعلَّهم يتوبوا ويرجعوا كما قال تعالىٰ حاكيًا عن شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (/ ٢٢٢٥).

مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود ٨٩، ٩٠]. فعلىٰ المؤمن أخذ العبرة ممن سبقت فيه سنة الله تعالىٰ من المكذبين، فالله تعالىٰ قادر في طرفة عين علىٰ إهلاك من عصاه واجترأ علىٰ محارمه ويطهِّر الأرض منهم، كما هو مشاهد اليوم؛ فكم من دور للملاهي وبارات وبيوت دعارة وأماكن شرك وكفر أغلقت؟! وهذا يزيد إيمانه ويقينه بالله تعالىٰ.

ثامنًا: الفرقان بين أهل الإيمان وأهل الكفران:

من الحقائق التي بيَّنها القرآن الكريم بأنه لا تستوي حياة من يؤمن بالله ومن يكفر به، ومن يطيعه ومن يعصيه، فالأول سعيد في دواخله وإن لم يكن له مال ولا جاه، والثاني شقي في دواخله مهما ملك من متاع الحياة الدنيا، فالعطاء ليس دليلا علىٰ الرضا، كما أن المنع ليس دليل سخط، وهذا من كمال حكمته وعدله أن لا يساوي بينهما كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [١٩-٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ

﴿كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]، وكثير من الناس يظن أنَّ ذلك متعلق بالآخرة، والآيات عامة، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي عملوها وكسبوها ﴿أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡ﴾، أي: نساويهم بهم في الدنيا والآخرة ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ أي ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا أن نساوي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة وفي هذه الدار"(١)، وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "﴿أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بأن قاموا بحقوق ربهم، واجتنبوا مساخطه ولم يزالوا مؤثرين رضاه علىٰ هوىٰ أنفسهم؟ أي: أحسبوا أن يكونوا ﴿سَوَآءً﴾ في الدنيا والآخرة؟ ساء ما ظنوا وحسبوا وساء ما حكموا به، فإنَّه حكم يخالف حكمة أحكم الحاكمين وخير العادلين ويناقض العقول السليمة والفطر المستقيمة، ويضاد ما نزلت به الكتب وأخبرت به الرسل، بل الحكم الواقع القطعي أنَّ المؤمنين العاملين الصالحات لهم النصر والفلاح والسعادة والثواب في العاجل والآجل كل علىٰ قدر إحسانه، وأنَّ المسيئين لهم الغضب والإهانة والعذاب والشقاء في الدنيا والآخرة"(٢).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (/ ٣٧٦٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٧٧٧).

فمن فوائد هذه الجائحة ظهر للعالم الفرق الواضح بين المؤمن الذي يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنه في دار الابتلاء، وكل شيء عنده بمقدار، وهو الحكيم العليم، فيهديه لأحسن الأقوال والأفعال والأحوال فيرضىٰ ويسلم ويصبر ويحتسب، ويثبت ولا يجزع، كما قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [التغابن: ١١]. وبين ما شاهدناه من حال غير المؤمنين وما هم فيه من جزع وخوف وقلق واضطراب وصراخ وهم يواجهون الموت وأسبابه، فالإيمان باعث علىٰ الأمن والطمأنينة والثقة بلطف المولىٰ ورحمته بعباده، كما قال تعالىٰ: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾، كما هو مذكر لهم بالتوبة الإنابة والفرار إليه، وأن صبره علىٰ البلاء يحقق له الأجر العظيم، وموته فيه ينقله إلىٰ منازل الشهداء المكرمين، فعن أَبِىٰ هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ قَالَ: «إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِىٰ إِذًا لَقَلِيلٌ». قَالُوا فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ

مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ». قَالَ ابْنُ مِقْسَمٍ أَشْهَدُ عَلَىٰ أَبِيكَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ «وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ»(١).

كما أنَّ أهل الإيمان يكونون أكثر إفاقة وتوبة ومحاربة للفساد والمنكر لأنَّهم علموا ما تجلبه من النكبات كما قال تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، وهي السبب في تفشي الأمراض الفتَّاكة والطواعين، كما جاء عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: «أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّىٰ يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»(٢)، في الوقت الذي لم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الإمارة، باب: بَيَانِ الشُّهَدَاءِ ح رقم ٥٠٥٠.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه ح رقم ٤٠١٩، وحسنه الألباني.

يعلم أهل الكفر حتىٰ اليوم مع ما عندهم من إمكانيات علمية ومادية أسباب هذا البلاء.

تاسعًا: إدراك حقيقة الدنيا:

الدنيا دار زوال وارتحال، لا تدوم علىٰ حال، ولا يبقىٰ لها قرار قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]، وهي حياة الغرور، قال تعالىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، فالدنيا خدَّاعة خاصة عندما تتزين للناس وتلهيهم بشهواتها.

فجاءت هذه الجائحة تذِّكر الناس بصورة قوية هوان هذه الحياة الدنيا وسرعة انقضائها، وأن الموت لا مفر منه، وأن الآخرة هي دار القرار، وأن العبد ينبغي أن يستعد إلىٰ لقاء الله تعالىٰ في كل لحظة، ففي وقت وجيز نجد الرجل قد فقد زوجته والزوجة زوجها، والأسرة الكثير من أبنائها، وفقد الأصحاب الكثير من أصحابهم وزملائهم من كانوا لا يظنون أنهم يموتون بهذه السرعة، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ

مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة: ٨]، وتذكُّر الموت مع الزهد في الدنيا وعدم الركون إليها من الفوائد العظيمة لاستقامة حياة الفرد والجماعة، وسبب لحسن الاستعداد ليوم المعاد، قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فمن عرف حقيقة الدنيا تفكَّر في حاله ومآله، وبذل جهده لما فيه فوزه ونجاته.

عاشراً: معرفة عظمة الإسلام وكمال تشريعاته:

الإسلام دين عظيم، ختم الله تعالىٰ به الأديان، وكمل به الشرائع، وأتم فيه النعمة كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وهو الدين الذي لا يقبل الله تعالىٰ سواه كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

في الوقت الذي كانت تتبجح فيه كثير من الدول الغربية بنظامها الحضاري، ورعايتها وريادتها لحقوق الإنسان، ويتهمون الإسلام بالتخلف والرجعية والإرهاب وغير ذلك جاءت هذه الجائحة لتكشف للعالم كله أنَّ الإسلام هو الدين الذي يحمل تصوُّرًا صحيحًا لا مثيل له في الأرض في وقت انتشار الأوبئة وغيرها، فهو قد سبق الدنيا في نظام

الحجر الصحي كما جاء عن أُسامة بن زيدٍ يُحَدِّثُ سعدًا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا»(١)، وأنَّه أمثل الأديان في المحافظة علىٰ النظافة والتطهُّر؛ بل جعله شطر الإيمان، كما جاء في صحيح عنْ أَبِىٰ مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ...»(٢)، وفي الوقت الذي رأينا من يدَّعون الحضارة وحقوق الإنسان والعدل والكرامة يتحدثون عن علاج الشباب وإهمال كبار السن وتركهم يواجهون الموت ظهر للعالم أجمع كيف اعتنىٰ الإسلام بهذه الفئة وحفظ حقها في الرعاية والعيش الكريم، وأوصىٰ بتوقيرها والرفق بها والشفقة عليها، كما جاء عن أَبِىٰ مُوسىٰ الأَشعرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ»(٣). وقال ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الطب، باب: مَا يُذْكَرُ فِي الطَّاعُونِ ح رقم ٥٧٢٨، ومسلم في صحيحه في كتاب: السلام، باب: الطَّاعُونِ وَالطِّيَرَةِ وَالْكَهَانَةِ وَنَحْوِهَا ح رقم ٥٩٠٥.

(٢) كتاب: الطهارة: باب: فضل الْوُضُوءِ، ح رقم ٥٥٦.

(٣) أخرجه أبو داود ح رقم ٤٨٤٥، والبيهقي في السنن الكبرىٰ، ح رقم ١٧١٠١، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع ح رقم ٢١٩٩.

«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا»[1]. قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فيض القدير معلقًا علىٰ هذا الحديث: "فالتحذير من كل منهما وحده فيتعين أن يعامل كلا منهما بما يليق به، فيعطىٰ الصغير حقه من الرفق به والرحمة والشفقة عليه، ويعطىٰ الكبير حقه من الشرف والتوقير، قال الحافظ العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"فيه التوسعة للقادم علىٰ أهل المجلس إذا أمكن توسعهم له سيما إن كان ممن أمر بإكرامه من الشيوخ شيبا أو علما أو كونه كبير قوم"[2]. ومن ذلك آداب غسل الأيدي الذي أمر به المسلم في الوضوء وعند الاستيقاظ وغيرها من المواضع، وظهر للناس جليا أثر هذه الثقافة في تقليل الوباء، ومن ذلك آداب العطاس ومنه ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا عَطَسَ غَطَّىٰ وَجْهَهُ بِيَدِهِ أَوْ بِثَوْبِهِ وَغَضَّ بِهَا صَوْتَهُ)[3]. ومن ذلك تحريم الإسلام الأطعمة الخبيثة كما قال تعالىٰ في بيان صفة نبينا الكريم ﷺ: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ [

(١) أخرجه أبو داود، ح رقم ٤٩٤٣، والترمذي ح رقم ١٩٢٠، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع ح رقم ٤٤٤.

(٢) فيض القدير المناوي (٥/ ٣٨٨).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ح رقم ٢٧٤٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم في المستدرك ح رقم ٧٧٩٦، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح، وصححه الألباني.

الأعراف:١٥٧]، فقد ذكروا أن من أسباب الوباء وبداية انتشاره من أكل الخبائث في الصين. وغير ذلك من وسائل الوقاية التي سبق بها الإسلام.

الحادي عشر: زيادة الترابط الأسري:

الأسرة هي نواة المجتمع التي يصلح بصلاحها، وقد اعتنىٰ بها الإسلام غاية العناية وبنىٰ أمرها علىٰ المودة والرحمة كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، وقد عانت بعض الأسر نوعًا من التفكك والتشتت والجفاء بين أفرادها نتيجة للغياب الكبير أحيانًا لرب الأسرة من البيت، وخروج الأبناء دون رقيب عليهم، والسهر خارج المنزل إلىٰ أوقات متأخرة من الليل يوميًّا في المقاهي والأندية والاستراحات أو انشغال بعضهم بأعمالهم اليومية بصورة ضاع فيها حق الأسرة؛ حتىٰ أصبح قل ما تجتمع أسرة كاملة علىٰ وجبة واحدة في اليوم، ومنها قل ما تجتمع علىٰ ذلك في الأسبوع.

فلما جاءت هذه الجائحة وفرض الحظر والجلوس في البيوت، زاد ذلك من الترابط الأسري بين أفرادها لجلوسهم مع بعضهم، وتمتع الأبناء بوجود الأب بينهم يبادلهم الأنس، ويشاركهم اهتماماتهم، ويسهم في حل مشكلاتهم، واستفادت بعض الأسر فوائد كبيرة من اجتماعها فصنعت

أموراً متنوعة مفيدة حسب اهتمام كل أسرة، فإذا كانت أسرة علمية كانت فرصة لدراسة بعض الكتب والعلوم، وإذا كانت أسرة مالية دخلوا سويًّا في نشاطات وأعمال تجارية، وأخذوا تجارب وأفكاراً متنوعة وهكذا، كما أنَّ الكثير من الأسر توجَّهت إلىٰ الله تعالىٰ بالتوبة والإنابة، وأقبلت علىٰ العلم النافع والعمل الصالح.

الثاني عشر: إعادة ترتيب الأولويات:

من الأمور المهمة في الحياة والتي بها يتحقق النجاح ترتيب الأولويات، وتقديم الأهم علىٰ المهم ، والفرائض علىٰ النوافل، وواجب الزمان والمكان علىٰ غيره، والقرآن يربي في أفراده هذا الفقه من خلال جوانب كثيرة في خطابه، فتأمل قوله تعالىٰ في صفات المتقين: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، فانظر كيف بدأ بقضية الإيمان ثم الصلاة ثم الزكاة، كما جاء ذلك في حديث النبي ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ حين أرسله لليمن وهو يعلمه هذا الفقه فقال له: « إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ

فُقَرَائِهِمْ فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ »[1]، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣]، ومثله قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، فانظر كيف رتبت هذه الآيات الأولويات، وقدمت ما يستحق التقديم من حيث الرعاية والواجب.

وقد رأينا في الفترة الماضية كيف كانت الأولويات غائبة أو مضطربة عند بعض الأفراد والأسر والدول، بل حتىٰ عند بعض الدعاة والعلماء، فتنفق الأموال الضخمة في أمور توافه وثانوية وكماليات، وتقوم المعارك الكبرىٰ بين الأفراد والدول في أتفه الأسباب، فلا يمكن مثلاً أن تنهض أمة تنفق أموالها في الملاعب والملاهي والبارات وما لا يعود بالنفع، أكثر من اهتمامها وانفاقها علىٰ التعليم والصناعة والزراعة والصحة، ففي الوقت الذي كانت تتجه فيه كثير من الدول الكبرىٰ نحو التسليح والتسابق في هذا المجال وانفاق المليارات في سبل تطويره،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة، باب: لَا تُؤْخَذُ كَرَائِمُ أَمْوَالِ النَّاسِ فِي الصَّدَقَةِ ح رقم ١٤٥٨، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: الدُّعَاءِ إِلَىٰ الشَّهَادَتَيْنِ وَشَرَائِعِ الإِسْلاَمِ، ح رقم ١٣٢.

وتتجه دول أخرىٰ نحو بناء مدن القمار والفساد، وتتجه دول أخرىٰ نحو وسائل الترفيه واللهو واللعب وتنفق في ذلك المليارات، جاءت هذه الجائحة فأظهرت للجميع أنَّ أولويات الإنفاق ينبغي أن تكون في غير تلك الاتجاهات، فيجب أن تكون الأولويات فيما يبني الإنسانية ويرقيها في فكرها وعلمها وعقيدتها لا فيما يهدمها ويجهل أفرادها ويفسد عقيدتها وأخلاقها ويدمر أمنها ومجتمعها.

الثالث عشر: التعاون العالمي فيما يحقق خير الإنسانية:

التعاون بين الناس مع اختلاف أعراقهم وأجناسهم وثقافاتهم فيما يحقق مصالحهم المشتركة من الأمور التي أقرها الشرع حتىٰ مع من يخالفنا في الدين والمعتقد ما لم يقاتلنا ويسعىٰ لإخراجنا من ديارنا، قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، والله تعالىٰ أمرنا بالتعارف، والتعاون في كل ما يحقق الخير، ولا يكون فيه أثم، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

فقد جاءت هذه الجائحة فبرهنت للإنسانية حاجتهم للتعاون فيما بينهم فيما يحقق أمنهم ومصالحهم المشتركة، ويدفع عنهم الشرور المتوقعة، وأن اختلاف الديانات والثقافات لا يعني التقاطع والتدابر والحروب المتصلة، فالإنسانية في حاجة للتعاون فيما بينها في المجال التعليمي والصحي والاقتصادي وغيره، وهذا التعاون ظهرت أهميته من خلال سعي العالم بأسره في العلاج والتعاون فيما بين الدول في حل الأزمات.

□

الخاتمة: نسأل الله حسنها:

توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلىٰ نتائج مهمة تلخصت في الآتي:

١. البلاء العام من سنن الله تعالىٰ المتكررة في الأمم والشعوب، فمع ما فيه من ضرر، وآثار سالبة علىٰ بعض الناس فإنه يحمل فوائد كثيرة متعددة.

٢. الابتلاء في اللغة يكون بمعنىٰ الاختبار والامتحان، ويكون بالخير والشر، ويكون عامًا وخاصًا.

٣. الناس ينقسمون عند نزول البلاء العام إلىٰ قسمين، منهم من يردهم البلاء إلىٰ الله تعالىٰ، ومنهم من لا تغني عنهم الآيات والنذر.

٤. أظهر هذا البلاء ضعف العالم وعجزه وفقره إلىٰ الله تعالىٰ الغني القوي العزيز، وظهر ضعف وعجز هذه الآلهة -التي يعبدونها من دون الله، ويرجون من ورائها جلب نفع ودفع ضر وأيقن الجميع أن العظمة والكبرياء لله تعالىٰ.

٥. تعلم العالم من هذه الجائحة أن التطور العلمي مهما بلغ لن يستطيع أن يرد قدر الله، أو يمنع عذابه إذا حل بأمة أو قوم.

٦. أنَّ الله تعالىٰ وحده هو القادر علىٰ إهلاك البشرية كلها بما لا قبل لهم به من جنوده الذين لا يعلم قدرهم ونوعهم غيره.

٧. التذكير بالنعم الكبيرة الكثيرة التي وهبها الله تعالىٰ لعباده وهم عنها غافلون وهو قادر علىٰ نزعها وتغيير أحوال هذا الكون في لحظة وطرفة عين إن لم يرعوها بالشكر عبودية للمنعم.

٨. بيان أن أمن العالم بيد الله تعالىٰ وحده، ولا أمن لهم إلا في عبوديته وطاعة أمره واجتناب نهيه

٩. تحقيق أنواع عظيمة من منازل العبدية منها التسليم بقضاء الله تعالىٰ وقدره، وحسن الظن به، والثقة في كفايته، وتحقيق منزلة الصبر والتذكر، والتضرع إليه والتوبة والإنابة إليه.

١٠. تقديم درس عملي ببيان كيف تحل سننه علىٰ الأمم السابقة من العذاب حينما تعصي أمر ربها وتكذب رسله وتغتر بما عندها من علم وقوة.

١١. ظهور أهمية الإيمان وقيمته في الحياة والفرق الواسع بين المؤمن يهديه إيمانه لأحسن الأقوال والأفعال والأحوال عند الابتلاء فيرضىٰ ويسلم ويصبر ويحتسب، وبين حال غير المؤمنين وما يقع منهم من

جزع وخوف وقلق واضطراب وصراخ وهم يواجهون الموت وأسبابه.

١٢. تذِّكر الناس بهوان هذه الحياة الدنيا وسرعة انقضائها، وأن الموت لا مفر منه، وأن الآخرة هي دار القرار، وأن العبد ينبغي أن يستعد للقاء الله تعالىٰ في كل لحظة.

١٣. تحقيق الترابط الأسري وتمتع الأبناء بوجود الأب بينهم يبادلهم الأنس والعلم والخبرة، ويسهموا في حل مشكلاتهم وتطوير قدراتهم.

١٤. إعادة النظر في ترتيب الأولويات لكثير من الأفراد والأسر والمؤسسات والدول.

١٥. توسيع دائرة التعاون بين بني الإنسان في المجال التعليمي والصحي والاقتصادي مع ما بينهم من اختلافات دينية وثقافية وعرقية وغيرها.

يوصي الباحث من خلال النتائج أعلاه بعدة توصيات منها:

١- النظر إلىٰ جميع ما يواجه الإنسانية عموما وأهل الإيمان خصوصا من خلال الهدىٰ القرآني حتىٰ يكون لنا تميزنا في رؤيتنا عن غيرنا.

٢- تتبع فوائد كورونا والعمل علىٰ نشرها من خلال وسائل الإعلام حتىٰ يرىٰ الناس جوانب الرحمة واللطف من خلال ما يمرون به من نقم وبلاء، وفي ذلك فوائد كثيرة.

٣- كتابة بحوث في آداب وأحكام البلاء العام في هدي الكتاب والسنة وما ينبغي أن يستفيده الفرد والمجتمعات من مثل هذه الجائحة.

فهرس المراجع

١. القرآن الكريم

٢. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضىٰ الزَّبيدي، الطبعة الأولىٰ، دار الفكر – بيروت، عام: ١٤١٤ هـ.

٣. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، عام: ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولىٰ، مؤسسة الرسالة– الرياض، عام: ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولىٰ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – مصر، عام: ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٦. الجامع الصحيح المسند المختصر لأمور النبي ﷺ وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفىٰ ديب البغا، الطبعة الثالث، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، عام: ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م.

٧. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران الأصبهاني، الطبعة الأولىٰ، دار السعادة – مصر، عام: ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

٨. الزهد والرقائق لعبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولىٰ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، عام: ٢٠٠٤م.

٩. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد بدون طبعة، دار الفكر – بيروت، بدون سنة نشر.

١٠. سنن ابي داود، للحافظ ابي داود سليمان بن الاشعث السجستاني، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولىٰ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع– الأردن، عام: ١٤١٠هـ.

١١. سنن الترمذي، لأبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، بدون طبعة، دار الغرب الإسلامي – بيروت، عام: ١٩٩٨ م.

١٢. السنن الكبير، لأبي بكر أحمد بن الحُسَين بن عليٍّ البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولىٰ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية – مصر، عام: ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

١٣. صحيح وضعيف الترمذي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولىٰ، مكتبة المعارف– الرياض، عام: ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

١٤. الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، بدون طبعة، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة، ١٤١٨هـ.

١٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، الطبعة الأولىٰ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، عام: ١٤١٥ه – ١٩٩٤م.

١٦. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعىٰ الإفريقىٰ، الطبعة الثالثة، دار صادر – بيروت، عام: ١٤١٤ هـ.

١٧. المجتبىٰ من السنن، لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، عام: ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

١٨. المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بدون طبعة، دار الكتب العلمية – بيروت، عام: ٢٠٠٠م.

١٩. المستدرك علىٰ الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم النيسابوري، تحقيق: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، الطبعة الأولىٰ، دار الحرمين - القاهرة، عام: ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٢٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد،

وآخرون، الطبعة الأولىٰ، مؤسسة الرسالة – الرياض، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٢١. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولىٰ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٢. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بدون طبعة، دار الفكر- الأردن، عام: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٣. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي – بيروت، عام: ١٣٩٢هـ.

٢٤. نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلىٰ الله عليه وسلم لابن عباس، لابن رجب، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، الطبعة الأولىٰ، دار البشائر الإسلامية – دمشق، عام ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

فهرس الموضوعات

مقدمة..... ٣

المبحث الأول: مفهوم البلاء العام وأقسام الناس فيه ٦

المطلب الأول: مفهوم البلاء العام..... ٦

المطلب الثاني: أقسام الناس في البلاء العام..... ٩

القسم الأول: من لم ينتفعوا بما حلَّ بهم من بلاء ١٠

القسم الثاني: من يردَّهم البلاء العام إلىٰ ربهم..... ١٠

المبحث الثاني: فوائد جائحة كورونا..... ١٢

أولاً: تحقق التوحيد الخالص لله تعالىٰ ١٢

ثانيا: معالجة الطغيان المادي للعالم..... ١٦

ثالثـًا: أنَّ لله جنود السماوات والأرض..... ١٨

رابعـًا: تذكر عِظم نعم الله تعالىٰ وسعة رحمته بعباده ٢٠

خامسـًا: أمن العالم وقيامه بالله تعالىٰ وحده..... ٢٢

سادسـًا: تحقيق منازل عظيمة من منازل العبودية..... ٢٤

سابعـًا: العلم ببعض السنن الربانية..... ٣١

ثامنـًا: الفرقان بين أهل الإيمان وأهل الكفران ٣٣

تاسعـًا: إدراك حقيقة الدنيا..... ٣٧

عاشراً: معرفة عظمة الإسلام وكمال تشريعاته ٣٨

الحادي عشر: زيادة الترابط الأسري..... ٤١

الثاني عشر: إعادة ترتيب الأولويات ٤٢

الثالث عشر: التعاون العالمي فيما يحقق خير الإنسانية ٤٤

الخاتمة: نسأل الله حسنها ٤٦

فهرس المراجع ٥٠

فهرس الموضوعات ٥٥